

الفصل الحادي والعشرون

قال سليم وهو مغرق في الضحك — وكان قد جاء زائرًا لخالد وأسرته: ماذا تريد؟ لقد أصبحت تلك الناحية من دار أبيك بيمارستانًا، وأصبحت زبيدة ممرضة لإحدى المجانين، فأما نسيم فقد أمرتها أن تعزل الصبيتين وأن تُعنى بهما، وألا تجعل بينهما وبين أمهما سببًا حتى تنجاب عنها هذه المحنة، وأظنك توافقني على أن الدور لم تقم ليمرّض فيها المجانين؛ فللمجانين دارهم الخاصة في القاهرة، وأظنك توافقني أيضًا على أن زبيدة ليست هي التي تحسن رعاية المجانين والقيام عليهم، فأطعني يا بني، ولنرسل نفيسة إلى حيث ينبغي أن تقيم.

قال خالد وفي عينيه دمعتان تريدان أن تسقطا ولكنه يعلقهما بين جفونه في شيء من الجهد: حاش لله! لن يكون هذا وأنا حي، ماذا أقول لعبد الرحمن وزوجه إذا التقينا في الآخرة؟! وماذا أقول للشيخ إذا سألني عن العهد الذي أعطيته على نفسي؟ وكيف أَرْضَى لابنتي أن يُقالَ إنَّ أمهما قد اضطرت إلى مستشفى المجانين؟!

قال سليم في شيء من الجد: وماذا تريد أن تصنع إذا؟ فإنَّ حال نفيسة لا تطاق، ولا سبيل إلى تمريضها حيث هي الآن. وهمَّ خالد أن يجيب، ولكن «مُنَى» سبقته إلى الحديث، فقالت: إنَّما مكان نفيسة هنا في هذه الدار، أقومُ عليها أنا ومن معي، ويرعاها أبو ابنتيها من قريب كَمَا كان يرعاها قبل أن ينتقل إلى هذه المدينة. قال الرجلان معًا: أَوْفَعَلَيْن؟ قالت مني: ولمَ لا؟ سأُتخذ ابنتيها ابنتين لي، وقد رزقني الله أربعة غلمان ولم يرزقني بنتًا واحدة. قال سليم وعلى ثغره ابتسامة راضية وفي صوته حنان لم يُعرف منه: بل تتخذين ابنتيها أُختين لك، فما أرى أن الفرق بينك وبين سميحة عظيم. أما